اصل اليزيدية وتاريخهم

Les Origines des Yézidis.

بمناسبة كتاب نصوص اليزيدية
الدينية الذي نوهت به لغة العرب .

الكرد :

هنا حقيقة لايمترى فيها ، هي ان الكرد جيل قائم بنفسه ، كان موجوداً قبل الاسلام قال السمعاني : « طائفة بالعراق ينزلون الصحارى وقد سكن بعضهم القرى خصوصاً في جبال حلوان والنسبة اليهم الكردي » اه

اما انهم بدو الفرس وان الفرس القسم المتحضر منهم ، او انهم امة برأسها ولا تزال في البداوة الى ظهور الاسلام ... فهذا موضع الاخذ والرد بين الكتاب والمؤرخين ... ولا يشتبه في ان الكرد اليوم هم من نسل اولئك وانهم بقوا محافظين على حالتهم الاولى بزيادة أو نقصان أو حضارة وخدموا الاسلامية خدمات جليلة .

ولا ينكر ايضاً انهم دخلتهم عناصر عربية اثر الفتح الاسلامي ، وما يليه من العصور ، خصوصاً في عهد الامويين فانهم تولوا رياستهم احياناً ، او قاموا بمشيختهم وتربيتهم الدينية ، أو سياستهم .

الكرد واليزيدية:

من طالع كتاب الشرفنامة علم مايؤيد ذلك . وهذا الكتاب عد شعبهم من كرمانج ، ولر ، وكلهر ، وكوران ، ثم قال :

« ان جميع طوائف الكرد شافعية المذهب ، متابعة لشريعة الرسول (ص) ونهج الصحابة الكرام ، والخلفاء العظام ، وطاعة العلماء ، واداء الفرائض : من صلاة ، وصوم ، وحج ، وزكاة . إلّا ان بعض الطوائف التابعة للموصل والشام مثل طاسني [وورد في موطن آخر بلفظ داسني وهو المشهور اليوم] وخالدي ، وبسيان ، وقسم من بختي . ومحمودي، ودنبلي ، على المذهب اليزيدي . ثم قال :

وان هؤلاء اليزيدية من جملة مريدي الشيخ عدي بن مسافر . وهو من حفدة المروانيين وينتسب اليهم ومن اتباعهم . ومرقده في جبل لالش (وفي المعجم ليلش) من اعمال الموصل ومن اعتقادهم الباطل فيه انه قد تحمل عنهم صومهم، وصلاتهم، فيصلي عنهم . ويصوم بدلهم . ويقولون لولاه لعذبنا الله ، أو لعاتبنا فهو الذي يوصلنا الى الجنة . ولهم كره . بل بغض . مستمر لا حد له لعلماء الظاهر . » اه

وقد علق الطابع لهذا الكتاب — (الطبعة المصرية) — بما نصه :

« اليزيدية من الوجهة المصرية طائفة من الاكراد تقطن انحاء جبل سنجار وجزيرة ابن عمر وحكاري (كذا ووردت في الكتب العربية بلفظ هكار بفتح الهاء وتشديد الكاف) في الجنوبي من كردستان لايزيد عددهم الآن عن مائتي الف وهم مسلمون في الظاهر . إلا ان لهم عقائد خاصة ، تخالف عقائد الجمهور من المسلمين . وسموا (يزيدية) نسبة الى يزيد بن معاوية . لانهم كانوا من انصار الامويين . وعلى ما يفهم من نص الشرفنامة . ومن اقوال العارفين بتلك الجهات . وبهؤلاء الناس . ان عدة من قبائل الاكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية . هاجرت في عهد الامويين الى جهات الشام للالتحاق بخدمة الخلفاء . فاستوطنت هنالك مدة . ثم عادت الى موطنها الاصلي . عند سقوط دولة الامويين، واعتصامهم مع اتباعهم بالجبال والبلاد الحصينة . وهكذا المذهب السياسي ادى الى مذهب ديني مخالف لدين جمهور المسلمين . » اه

تمحيص الاقوال عن اليزيدية :

ان هذه الاقوال وحدها لايعول عليها . ما لم نجد ما يدعمها من النصوص القديمة . في اصل هذه الطائفة التي لايزال الاوربيون يهتمون بها اهتماماً عظيماً ويحاولون بكتاباتهم ان يعدوها طائفة قائمة برأسها من حيث العقيدة . وان لا اصل لها في الاسلام . لغرض ان يبدوا مهارة في التدقيق، أو لامر آخر سياسي، أو ديني . مما لا يخفى على المطالع .

نعم اختلفت الظنون في اصل اليزيدية . وتضاربت الآراء في حقيقة نحلتهم . فاستفاد بعض الكتاب من هذا التشويش . ووافقهم بعض المسلمين ايضاً .

فاختار أنهم مجوس ، لغرض مخالفة في المعتقد . وكذا فعل صاحب (النصوص الدينية اليزيدية) فانه تابع أهل هذا الرأي ، لموافقة اشتراك في بعض حروف اللفظ ليزيد ويزدان على خلاف ما قام به جهابذة الكتاب من المسلمين .

والموضوع دخل بساط البحث، فتناولته الآراء بنزعة أو بساطة، أوبما ماثل إحداهما . وتعداد الاقوال في هذا الباب يطول كما انه لايجدي نفعاً . وليس القصد الاشتراك مع أحد دون الآخر ، تعصباً لرأي تعصباً مجرداً . وانما الغاية التوصل الى الحقيقة ، ودفع شيوع ما نعتقد خلافه ، بالنظر الى ما وصل الينا من النصوص التاريخية في وقت لانجد هناك نصوصاً تهدمها ، فتستدعي ترك هذا المعتقد واعتناق غيره .

ونتائج ما تحققته انهم مسلمون ، متزهدون ، يعتقدون الامانة في يزيد ، وكونه على الحق . وتوارثوا تقاليد قومية ، ودينية ، صوفية ، واعتيادات سياسية ممزوجة بتعصب الامويين . مما أبعد شقة الخلاف بينهم وبين جمهور المسلمين ، فادى الى تقاليد خاصة افسدت جوهر اسلاميتهم .

نشاهد هذا التفاوت تقريباً بين عقائد الاسلام الخالصة ، المأخوذة من امهات نصوصه الحقة ، وما عليه اليوم « عرب البادية» من التقاليد الجاهلية ، او ما عليه غيرهم من اهل المدن الدخلاء في الاسلامية . نرى بعض الاعتيادات الموروثة ولا يسعنا ان نحكم انهم بقوا على تلك العادات بان يقال انهم تستروا بالاسلامية وابطنوا غيرها .

وايضاً دخلت هذه النحلة تقاليد جديدة لها اساس في الديانات المجاورة ، وفي التصوف . ولا ننس ان العوام لا يعرفون سوى الشكل المادي والمراسم الظاهرة .

فالتشوش وقع لهم ممن دخل ومعه تقاليد جديدة ، أو من رؤساء جهال ، كما سيتبين ، وإلّا فالمؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم شيئاً ، وانما ذكروا تعصبهم ليزيد ، كما تعصب غيرهم الامام علي (رض) ولم يكونوا بدرجة النصيرية (ويعرفون عندنا بعلي اللهية [١]) مع ان المؤرخين دونوا ديانات

١) الذي عندنا ان العلي اللاهية غير النصيرية ، انما هم القزل باشية (ل . ع)

المجوس واحوال الفرس ، حتى انهم عرفوا بمن شاهدوه في عصرهم من الدعاة ، ومنتحلي هذه الديانة .

وعلى كل حال ، لايحتمل انهم عريقون في المجوسية . ولا يعول على التقاليد الموروثة ، باعتبارها ديناً قديماً لهم ، ولكن يصح ان يفسر ما وجد مخالفاً للاسلام ، فيقال انه منقول ومأثور عن جاهليتهم الاولى ، اما هم فلا يقولون بان ديانتهم مجوسية ، كما ان بعض المسلمين ، لو قلنا له : ان قسماً من تقاليدك جاهلية ، أو وثنية ، أو ما شابه ذلك ، لاخذه الحنق ، ولكذب كل مايعزى اليه باي وسيلة كانت .

أصل اليزيدية في التاريخ :

لا يفوتنا ان اكثر الكتاب ، تابعوا فكرة انتشرت ، واشتغلوا بتفسيرها دون ان يكلفوا انفسهم عناء البحث ، او العودة الى النصوص التاريخية . ولا تحسب ايها القارئ اني سأعتمد على نسخ خطية قديمة ، قد انفردت بحيازتها ، وانما غالب ما اذكره مشهور متداول . فاول من ذكر هؤلاء اليزيدية فيما اعلم « السمعاني » (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ) في كتاب الانساب . في مادة (يزيدية) فانه بعد ان عدد يزيديين محدثين قال :

« وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق ، في جبال حلوان ، ونواحيها من اليزيدية وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال . ويأكلون الحال (كذا) (١) ، وقلما يخالطون الناس . ويعتقدون الامانة في يزيد بن معاوية وكونه على الحق ،

١) الحال في اللغة : الطين والحماة . ومن المشهور أن بعض الناس يأكلون الطين من قديم العهد ، والناطقون بالضاد يسمون آكله بالمغل (وزان مبرد) والفعل مغل ومثله جم يجم ، الا اننا نرى ان الكلمة هنا مصحفة عن « القات » والقات نبت يكثر في بلاد اليمن وكردستان يحرص على اكله المتصوفة والشيوخ وبعض الزهاد . قال الشيخ عبد القادر بن محمد الانصاري الجزري الحنبلي : « واما القات والكفتة فما اظنه يغير العقل ولا يصد عن الطاعة وانما يحصل به نشاط ورويحة وطيب خاطر ». اه . فلعل للقات اسماً ثانياً هو الحال عند بعضهم . واسم هذا النبات عند العلماء Celastrus edulis (ل . ع)

ورأيت جماعة منهم في جامع المرج (١) (كذا) وسمعت ان الاديب الحسن ابن بندار البروجردي، وكان فاضلا مسفاراً ينزل عليهم بسنجار [جاءت الكلمة بلفظ بخارا في الاصل ولعل سبب ذلك جهل الكاتب جبل سنجار واشتهار بخارا بين الادباء] ، ودخل مسجداً لهم ، فسأله واحد من اليزيدية : « ماقولك في يزيد » ؟ فقال : « أيش اقول فيمن ذكره الله في كتابه ، في عدة مواضع ، حيث قال : « يزيد في الخلق ما يشاء » ، « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » . قال : فأكرموني ، وقدموا لي الطعام الكثير ... » اه

هذا ما قاله السمعاني عن نفسه ، وما نقله عن معاصر له . وانه رآهم في جامع المرج ، ورأى محدثه مسجداً لهم ، وعرف اعتقادهم ؛ وقد نفى السمعاني في نفس هذه المادة ، ان ينتسبوا الى يزيد بن انيسة ، وانما عده من الخوارج .

ويؤيد فكرة انتسابهم الى الامويين ، او انهم رؤساؤهم في الدين ، وفي الادارة ، ماجاء في مادة (هكاري) من الانساب ايضاً :

« هذه النسبة الى هكار ، وهي بلدة وناحية عند جبل ، وقيل جبال ، وقرى (٢) فوق الموصل من الجزيرة . والمشهور منها ابو الحسن علي بن أحمد ابن يوسف بن جعفر بن عرفة بن المأمون (لفظه مشوش) بن الديل (كذا) [ولعلها الدئل] بن الوليد بن القسم بن الوليد بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي الهكاري الملقب بشيخ الاسلام . تفرد بطاعة الله في الجبال وابتنى له اربع مواضع (٣) يأوي اليها

١) كذا في الاصل المطبوع المصور . والناسخ كثيراً ما يهمل اعجام بعض احرف الكلمة بينما يعجم فيها حرفاً او حرفين . والذي عندنا ان الكلمة هنا : « جامع المرج » . مرج القلعة ، بينه وبين حلوان (حيث الكلام عن مرج بجوارها ، منزل وهو حلوان . راجع الكلام عليه في ياقوت . (٢) كذا في الاصل كانها جمع قرية . والصواب : جبل وقيل جبال قردى بالف مقصورة في الاخر وقردى اسم الجبال التي بناحية الموصل وفوقها . والاسم مشهور . والظاهر ان جهل الناسخ لبلدان انحاء الموصل وما فوقها دفعه الى مهاوي تلك الاوهام . ويسمى الجبل المذكور بالجودي ايضاً فليحفظ . (٣) كذا في الاصل المطبوع المصور ، وعندنا ان الصواب : اربع صوامع . ولو كان « مواضع » لقال : « اربعة » لا « اربع » والظاهر ان الناسخ كان جاهلا لكثير من المصطلحات . (كلها للغة العرب)

الفقراء والصالحون ، وكان كثير الخير والعبادة [وورد بلفظ عباد في المطبوع] الى ان يقول :

« سمع منه القدماء من الحفاظ . روى لنا عنه بمكة ابو زكريا يحيى بن عطاف الموصلي وببغداد عبد الله بن شاكر المقبري ، وعبد الرحمن بن الحسن الفارسي ، وابو علي الحسن بن احمد المقبري ، وصالح بن اسماعيل بن دوذين (كذا) الجيلي ، وباصبهان ابو الخير شعبة ابن عمر الصباغ وابو محمد الحسن بن محمد بن جعفر المهراني وغيرهم . وكانت ولادته سنة ٤٠٩ هـ ومات بالهكارية في اول المحرم سنة ٨٤ . وكان ببغداد في زماننا شاب صالح من الهكارية سمع معنا الحديث من ابي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وغيره . » (١) اه

ومن هذا ترى العلاقة بين الامويين واليزيدية وان بلاد هؤلاء الناس كانت مسلمة ، وانهم يتزهدون فيها ، منقطعين عن غيرهم بسبب امثال هؤلاء الصلحاء ، ولا علاقة لهم بالمجوسية ، اذ لم يعرف فيهم غير المسلم واذا كان هذا الشاب الصالح الذي درس مع السمعاني ، هو غير عدي بن مسافر ، كما هو ظاهر من الفرق بين العمرين عمر السمعاني وعمر عدي ، فقد انجبت تلك الانحاء علماء وصلحاء كثيرين ، ومن ثم تولد الزهد في القوم . ويؤسف لعدم تسمية ذاك الشاب .

ومن الغريب ان يورد الباحثون النقول من عدي فما يليه ، ولا يتجاوزونه في القدم . وما اوردته يؤيد القدم . والاغرب ان ينتشر كتاب الانساب ولا يزال (الفاضل الايطالي) على فكرته مع ان صاحب لغة العرب نبه على رسالة ابن تيمية حين كان في بغداد . وكان استطلع رأيي ايضاً في اصلهم فبينت لحضرته انهم مسلمون ، استولى عليهم الجهل ، وابتلوا برؤساء اختلقوا عليهم اشياء كثيرة فقبلوها منهم ، وارادوا ابعاد شقة الخلاف ، خصوصاً بعد ان رأوا من اخوانهم المسلمين ما رأوا . وباقي القول ارجئه الى المقال التالي . والله الموفق .

بغداد : ٥ ـ ٣ ـ ١٩٣١ المحامي : عباس العزاوي

---

١) ان طبعة الانساب كانت على نسخة مغلوطاً فيها جداً ، ومن راجع الاصل تبين الخطأ الكثير فقد ورد عن يزيد بن « أنيسة » انه ابن « ابنة » . وهكذا في كل النقول وعسى ان يحصل على نسخة صحيحة لتطبع طبعة ثانية . (الكاتب)